

مسلسل العلاقات المغربية الاسرائيلية

وأثارها على القضية الفلسطينية

ملف الجسور المفتوحة مع الكيان الصهيوني منذ عام 1956



مركز ابن رشد للدراسات والتفاعل الثقافي



الصورة على الغلاف

من اليسار الى اليمين : الوزير المغربي احمد العلوى، ادغار برونفمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى، ليليان شالوم الرئيسة السابقة للفيدرالية اليهودية الامريكية، وزوجها ستيف شالوم نائب رئيس المنظمة الصهيونية "جوانت امريكان كوميتي" في لقاء اثناء المؤتمر الصهيوني بالرباط - ماى ١٩٨٤ .

مسلسل
العلاقات المغربية الاسرائيلية

وأثارها على القضية الفلسطينية

ملف الجسور المفتومة مع الكيان الصهيوني منذ عام 1956

مركز ابن رشد للدراسات والتفاعل الثقافي



أكتوبر 1986

مقدمة

لقد جاءت زيارة رئيس الوزراء الاسرائيلي شمعون بيريز الى المغرب في ٢٢/٢٣ يوليو من هذه السنة تتويجا لمسلسل طويل من الارتباطات ما بين قادة الكيان الصهيوني والنظام المغربي . وقد شهدت السنوات الاخيرة على وجه الخصوص تكثيفا متميزا للاتصالات والزيارات والاجتماعات ، السرية منها والعلنية ، ما بين السلطات المغربية ورموز الحركة الصهيونية العالمية بشكل عام واسرائيل بشكل خاص . وليس من قبيل الصدف أن يتزامن تكثيف العلاقات المغربية الاسرائيلية هذا مع تركيز وتقوية الوجود الامريكى المتعدد الاشكال في المغرب . فالقاعدة التي تقوم عليها تلك العلاقات بالذات هي قاعدة التحالف بين النظام المغربي والامبريالية الامريكية والغرب على وجه العموم .

على أن لهذه العلاقات نفسها بعض المميزات الخاصة بل والمثيرة : فنحن أمام ثلاثين عاما من الارتباطات والاتصالات والخدمات المتبادلة على مختلف المستويات ، بدءا من النشاط اليومي الذى يخوضه اليهود "المغاربة" لخدمة الصهيونية ، وصولا الى لقاءات القمة ، مرورا بشتى أدوار الوساطة والتحضير التي

مانفك النظام المغربي يتولى القيام بها قبل وبعد توقيع اتفاقيات كامب ديفيد على السواء .

وقد اعتمدنا في وضع هذا الملف الوثائقي منهج الرصد والتتبع التاريخي لوقائع العلاقات المغربية الاسرائيلية ومراحل تطورها ، مرتكزين في ذلك أساسا على المادة الوثائقية المتوفرة من مذكرات ومقالات ومقابلات صحفية . . وقد ثبتنا لائحة هذه المراجع في نهاية الملف لمن يهمه الاطلاع عليها مباشرة . ولاشك أن العناصر التي أمكننا التقاطها من هذه المصادر لاتعكس الا جزءا من مجموع الملف الذي لازالت لم تتكشف كل جوانبه بعد . لكن ماتوخيناها بالدرجة الاولى هو تجميع أهم ما هو معروف لحد الان عن علاقات النظام المغربي بالكيان الصهيوني ، واعادة تركيب صورة كانت حتى الان مجزأة ، وهذا ماسيسمح بتدقيق النظرة الى أبعاد وامتدادات التوغل الصهيوني في بلادنا ووطننا وما يفرضه من مهام ازاء الشعبين الفلسطيني والمغربي وازاء القضية العربية بشكل عام .

١- السوابق التاريخية

تهجير اليهود المغاربة الى فلسطين المحتلة

لم تتوقف السلطات المغربية منذ ١٩٥٦ عن تسهيل وتشجيع هجرة اليهود المغاربة نحو فلسطين المحتلة، مواصلة منها لعمل السلطات الاستعمارية الفرنسية التي شرعت في عمليات التهجير تلك منذ انشاء الكيان الصهيوني في العام ١٩٤٨. بل ان انتقال المغرب الى الاستقلال الرسمي قد رافقه تكثيف منهجي لتهجير اليهود، قياسا بسنوات الاستعمار نفسها، وهذا على الرغم من كل القرارات الصادرة عن القمم العربية وغيرها، والتي كانت تطالب بلدان العالم بوقف هجرة اليهود القاطنين بها الى فلسطين المحتلة.

وهكذا تم ترحيل حوالي ٧٦.٠٠٠ يهودي مغربي في الفترة ما بين ١٩٥٦ و ١٩٦٢ بمساهمة مباشرة من مسوولي الدولة المغربية. وقد كشف سامويل سيكيف في كتاب له بعنوان "عملية ياخين" بعض أسرار هذه العملية الخبيثة التي مولتها كل من الوكالة اليهودية والدولة الصهيونية نفسها، وقام بتنفيذها تنظيم خاص أسسه جهاز المخابرات الاسرائيلية (الموساد) في المغرب وأطلق عليه اسم "النطاق" (ميزكيرييت) وكان عبارة عن شبكة ارهابية واسعة توّطرها عناصر عالية الخبرة وعميقة التصهين في الجهاز المذكور حظيت بتواطؤ ورعاية السلطات المغربية. ويذكر أحد مسوولي الموساد أن الخلايا السرية لهذا التنظيم كانت تضم

نحو ٦٠٠ يهودى متصهين كانوا يتلقون تدريبات عسكرية في الجنوب الفرنسي . وكان "النطاق" تنظيما ارهايبيا مذهلا، ليس فقط بنوعية عناصره وطرق تنظيمه واتساع شبكته وضخامة امكانياته وتجهيزاته، بل أيضا بالصلات والعلاقات التي كانت لديه داخل الاجهزة المغربية والتي كانت تمنح عملياته غطاء واقيا وتتدخل في اللحظات الحرجة لانفاذ عملياته . الى درجة أن "النطاق" تمكن من وضع خطة لاغتيال الرئيس جمال عبد الناصر عندما كان هذا الاخير في زيارة رسمية للمغرب في شهر يناير ١٩٦١ (١) .

وحتى منتصف العام ١٩٦١، كان تهجير اليهود المغاربة الى الارض المحتلة يمر بطرق شبه سرية عبر شبكات داخلية لها مراكز في المدينتين المغربيتين المحتلتين سبتة ومليلية وعلى شاطئ الحسيمة، تستأنف نقلهم الى الجنوب الفرنسي حيث تتولى وسائل النقل البحري والجوى الاسرائيلية ايصالهم الى فلسطين المحتلة . وبعد ذلك، صار تهجير اليهود المغاربة علنيا ومكشوفاً، حيث أجرى جهاز "النطاق" عام ١٩٦١ في باريس مفاوضات سرية مع مبعوثين مغاربة انتهت الى اقامة حصر جوى بين الدار البيضاء ومرسيليا لتهجير اليهود . وكان ذلك مساهمة مباشرة من السلطات المغربية في دعم الاستيطان الصهيوني لفلسطين .

جهاز الموساد يضع أسس المخابرات المغربية

في مطلع الستينات، ساعدت المخابرات الاسرائيلية السلطات المغربية على تكوين جهاز مخابراتها . وهكذا توجهت عناصر من الموساد الى المغرب يطلب من هذا الاخير وأشرفت على وضع الاجهزة وتدريب عناصرها وفق أحدث الطرق . "وأثناء تأدية هذه المهمة، تمكنت اسرائيل من التغلغل داخل عدة أجهزة مخابرات عربية في المغرب . وقد ساعد ذلك اسرائيل في الحصول على معلومات قيمة في الايام التي سبقت حرب يونيو ١٩٦٧" (٢) .

وقد بلغ التنسيق بين الموساد والمخابرات المغربية ذروته أثناء التحضير لاختطاف القائد المغربي المهدي بنبركة في نهاية شهر أكتوبر ١٩٥٦ . ويؤكد أحد محرري الصحيفة البريطانية "دايلي ميل" أن وزير الداخلية المغربي آنذاك، الجنرال أوفقيير، قد طلب من مدير الموساد، مايير أميت، تحضير الشروط الضرورية

لنجاح عملية الاختطاف (٣) . ومن المعروف أن المهدي بنبركة كان يبذل نشاطا دوليا فائقا لدعم القضية الفلسطينية وتنسيق مواقف ونضالات حركات التحرر في القارات الثلاث ضد الصهيونية والعنصرية والهيمنة الامبريالية، كما أنه بذل مجهودا مرموقا من أجل دراسة وفصح طبيعة وأهداف اسرائيل، خاصة في افريقيا، حيث أعد تقريرا شاملا حول "اسرائيل في افريقيا" قدمه في ندوة فلسطين العالمية التي انعقدت بالقاهرة من ٣٠ مارس الى ٦ أبريل ١٩٦٥ .

وقد أشار محمد حسنين هيكل الى بعض جوانب العلاقات القائمة ما بين المخابرات المغربية والاسرائيلية، حيث يؤكد أن "نادى سافارى" المغربي وأجهزة المخابرات المتعاونة فيه قد اتصلوا في بعض المناسبات بالمخابرات المغربية . ونادى سافارى هذا جزء من مؤسسة عالمية لعبت المخابرات الامريكية والموساد الاسرائيلية دورا أساسيا في انشائها وتنظيم نشاطاتها المعادية لحركات التحرر (٤) . وسيكتشف فيما بعد أن التعاون بين السلطات المغربية واسرائيل في مجال تبادل الخدمات والخبرات قد وصل حد شراء المغرب دبابات اسرائيلية من نوع "أ١٠ام .اكس" وطائرات من طراز "فوغا ماجيستر"، وذلك عن طريق نظام جنوب افريقيا العنصرى (٥) .

حزيران ٦٧ : البواخر الاسرائيلية تتزود في موانئ المغرب

في نطاق هذه الخدمات المتبادلة، سمحت السلطات المغربية لاسرائيل بأن تستعمل التراب المغربي كمحطة عبور لنشاطاتها العدوانية ضد البلدان العربية . ففي أثناء حرب حزيران ١٩٦٧، سمحت للبواخر الاسرائيلية أن تتزود في الموانئ المغربية، كما كانت القواعد العسكرية الامريكية القائمة في المغرب تزود أيضا العدو الصهيوني بالعتاد والذخيرة .

ولعل أشجع ما لقيه المواطن المغربي من اهانة وجرح للكرامة هي تلك الاحداث التي تلت حرب ٦٧ . فبمجرد ما تأكد الصهاينة "المغاربة" أن "دولتهم" انتصرت في المعركة واحتلت الاراضي والمدن العربية، حتى نزلوا الى الشوارع وأخذوا يحتفلون أمام الملا، يخمرون ويرقصون ويقيمون مشاهد استفزازية كثيرة ويجرحون كرامة المغاربة بالسخرية اللاذعة على مرأى ومسمع من الشرطة المغربية . وكل مغربي أراد وضع حد لتلك الاستفزازات وجد نفسه معتقلا عند الشرطة ومهانا

اطارات صهيونية بمال المغاربة

الى جانب ذلك ، تنفق الدولة المغربية على الشباب اليهودي من أجل متابعة تعليمه العالي بالخارج - وخاصة في ميادين العلوم والتكنولوجيا - وجله يذهب الى اسرائيل بعد انتهاء التخصص ، والباقي منه يظل في أوروبا . ولم يعد واحد منهم منذ استقلال البلاد رسمياً . ومع ذلك وحتى اليوم ، فان الدولة المغربية تستمر في تكوين الاطارات الصهيونية العالية كل سنة لتزود بها دولة الاستعمار الصهيوني . . . وذلك بمال المغاربة .

والادهى من ذلك أن السلطات المغربية ذهبت الى حد السماح للاتحاد الاسرائيلي أن يشرف على تكوين أبناء اليهود المغاربة داخل المغرب نفسه . وكانت الحماية الفرنسية قد استجابت لاغراض الصهيونية العالمية فعقدت مع الاتحاد الاسرائيلي اتفاقية خاصة بالتعليم مؤرخة في ١٥ فبراير ١٩٢٨ ضمن فيها الاتحاد المذكور الاشراف على تعليم اليهود وتوجيههم ووضع البرامج الخاصة بهم ، وتعهدت سلطات الحماية بتخصيص ميزانية خاصة تعطى لتعليم الحالية الاسرائيلية . وبعد بضع سنوات من الاستقلال ، وعلى الرغم من تمكن القوى الوطنية المغربية من الغاء الاتفاقية المذكورة رسمياً ، عادت السلطات المغربية للتعامل مع الاتحاد الاسرائيلي العالمي وبالتحديد مع الفرع الذي أسسه في المغرب تحت اسم جمعية "اتحاد - مغرب" . وفي سنة ١٩٥٦ ، والمغرب يومئذ في حالة استثناء عقب انتفاضة مارس الشعبية ، حدثت فيما يتصل بالموضوع عدة أشياء أهمها :

- تراجع الحكومة عن سياسة تأميم التعليم اليهودي .
- إبرام اتفاقية خاصة مع "اتحاد - مغرب" استرجعت هذه الجمعية بمقتضاها جميع المدارس اليهودية ، حتى تلك التي كانت قد أدمجت من قبل .
- الغاء دمج رجال التعليم اليهود في التعليم العام الذي حدث عام ١٩٦٢ .
- سحب المساعدة التي تقدمها الميزانية العامة للتعليم اليهودي من وزارة التعليم (١٥٠ مليون فرنك) ودمجها في ميزانية الكتابة العامة للحكومة .
- فصل هذا التعليم عن رقابة وزارة التعليم ونقل ملفه الى رئاسة الحكومة . وهكذا أقيمت دولة داخل الدولة المغربية ، وأصبح تعليم اليهود في المغرب خاضعا لاعتبارات الحركة الصهيونية وامتداداتها داخل المغرب نفسه .

وأغلبهم تعرض للسجن . . . لقد وقفت الشرطة والعدالة المغربية الى جانب الصهاينة !

وبعد حرب ٦٧ ، أعلنت المعارضة المغربية عن وجود تأثير صهيوني قوى في شركات التجارة الخارجية المغربية . ودعت صحيفة "العلم" في ذلك الوقت الى مقاطعة اليهود الذين لهم علاقات مع اسرائيل وحلفائها ، وطالبت بمقاطعة بعض الشركات المغربية التي تتعامل مع اسرائيل . وأدى هذا الموقف الى نشر الخوف في أوساط يهود المغرب ، مما دفع بالسلطة الى أن تقدم على اغلاق الصحيفة لمدة يومين وتصدر بيانا يؤكد "حماية اليهود وحفظ حقوقهم بالمغرب" (٦) .

وعن مدلول الوقائع التي طبعت تلك المرحلة ، كتب الشهيد محمد بنونة يقول : "ان الامبريالية نجحت الى حد كبير في ربط دول المغرب العربي باستراتيجيتها ، ومن أهم نجاحاتها فصل أقطار المغرب العربي عن معركة المصير ضد الاستعمار الصهيوني . لقد لمست الامبريالية مواطن الضعف عند الحكام بأقطارنا لاحتياجهم الى الرساميل والخبرة الفنية والتجهيز ، واستعدادهم للتنازل عن بعض القضايا المبدئية وجزء من المصالح الوطنية مقابل الحصول على ما يحتاجون اليه ، فجعلت من "حياد" دول المغرب العربي في الصراع ضد الصهيونية أحد الشروط لتقديم المساعدات . . . وعندما قبل حكام المغرب العربي هذا "الحياد" ، فان الامبريالية تعطي بسخاء" (٧) .

والواقع أن الامر بالنسبة للسلطات المغربية قد تجاوز بكثير مجرد موقف "الحياد" ، فبعد حرب ٦٧ تواصل تهجير يهود المغرب بوتيرة أسرع من السابق ، حيث كانوا يحصلون - دون المسلمين - على جواز السفر وعلى رخصة نقل ثروتهم الى الخارج . وهكذا هاجرت الالاف من العائلات اليهودية الى الارض المحتلة ، بشكل منظم وواضح للعيان لتزويد دولة الصهاينة بالاطفال والشباب الذين ينضمون الى مؤسسات الجيش والمصانع . ويتبين من الاحصائيات الرسمية للمغرب أن عدد اليهود المغاربة - وهم أكبر جالية يهودية في البلدان العربية - قد انخفض بنسبة ٨٠ ٪ على مدى الستينات (١١٩ ٣١ عام ١٩٧١ مقابل ١٥٩ ٨٠٦ عام ١٩٦٠) . وقد بلغ مجموع اليهود المغاربة الذين شملتهم عمليات التهجير منذ الاستقلال ٢١٠ ٩٠٠ نسمة ، وهو عدد يفوق عدد المهاجرين من أي بلد بما في ذلك الاتحاد السوفياتي (١٠٠ ١٩٧) . وبذلك حققت الحركة الصهيونية أكبر نجاحاتها في هذا المجال .

٢- القادة الصهاينة يتوافدون على المغرب

والجدير بالتسجيل أيضا أن جل الاطر الصهيونية التي رباها الاستعمار الفرنسي في المغرب حافظت على مواقعها على رأس بعض الادارات الحكومية ، حيث عين أحدهم في منصب الامين العام لوزارة الخارجية وآخر مديرا عاما للانتاج المعدني ، وخبير تخطيط في وزارة الاقتصاد الوطني ، بالإضافة الى ملحق في وزارة الفلاحة وموظفين كبار في وزارة الداخلية ومدير مكتب الحبوب . كما استعانت وزارة الخارجية بعدد كبير من اليهود كموظفين وروءساء أو أعضاء بعثات تجارية واقتصادية في الخارج .

كما أن يهود المغرب كانوا - ولا زالوا - يلعبون دورا كبيرا في الاشراف على تسيير أملاك المعمرين الجدد بعد "الاستقلال" . وأصبحت البورجوازية اليهودية تبتلع مئات الهكتارات من الاراضي الزراعية وتسيطر بشكل كبير على التجارة وخاصة منها التجارة الخارجية . ونشط الرأسمال اليهودي في استثمار خيرات المغرب وتزويد دولة الصهاينة بالثروات التي يجنيها . وبينما أصبحت الاحياء اليهودية القديمة فارغة من اليهود المغاربة على اثر حملات التهجير الى فلسطين المحتلة ، كانت البورجوازية اليهودية قد غيرت مواقع سكنها فقط ، حيث أصبحت تقطن الاحياء الارستقراطية الى جوار الطبقة الحاكمة .

١٩٦٩/١٩٧٠ : بداية الاتصالات المباشرة

يعود تاريخ الاتصالات من المستوى العالي بين المغرب واسرائيل الى سنة ١٩٦٩ على الاقل . فقد كشف رئيس العدو الصهيوني حاييم هرتسوغ لعائلات يهودية من أصل مغربي زارها في ٢٣ أبريل ١٩٨٤ بمناسبة عيد "ميمونة" الخاص باليهود المغاربة ، أنه قام بزيارة سرية الى المغرب عام ٦٩ في "مهمة سرية" . وكان هرتسوغ في ذلك الوقت يحمل رتبة جنرال في الجيش الاسرائيلي ، وشغل منصب رئيس المخابرات العسكرية قبل أن يصبح حاكما للضفة الغربية المحتلة اثر عدوان يونيو ٦٧ .

واذا كان هرتسوغ لم يفصح عن طبيعة "المهمة السرية" التي قادته الى المغرب ، فان ناحوم غولدمان ، رئيس المؤتمرات اليهودي العالمي السابق ، قد أزاح الستار عن بعض تفاصيل زيارته للمغرب عام ١٩٧٠ ، حينما كتب في مذكراته : "لقد حاول ملك المغرب دائما أن يقرب بين اليهود والعرب . وشخصيا حاول أن يجمعني بعرفات مرتين على الاقل : في المرة الاولى كنت موجودا في روما في بداية صيف ١٩٧٠ حين اتصل بي رئيس تحرير الـ "نوفيل أوبسرفاتور" الفرنسية ، جان دانييل ، وثيق الصلة بزعيم الحزب الاشتراكي الفرنسي فرانسوا ميتران - وهو

"مثمرة للغاية" وأنه جرى في اللقاء جس النبض واكتشاف النيات، مضيئة أن الزيارة قد تلتها بعض المقابلات بين سفيرى الطرفين في باريس، وكان تحضير الزيارة قد تم بواسطتهما (١٠) .

وتشير تامر غولان في المقال السابق الذكر أنه خلال هذه الزيارة "تباحث اسحاق رابين وروءساء الادارة المغربية حول كل شيء . لقد كانت هنا قبل كل شيء محاولة لخلق اتصالات شخصية وتبادل الاراء . ودار الحديث حول امكانيات التعاون بين الدولتين اللتين لهما مشاكل مشتركة في أمور حيوية، وضرورة اىصال المياه الى المناطق الصحراوية في المغرب، وتحلية مياه البحر وتطوير الزراعة الجبلية . لكن الوضع في الشرق الاوسط كان هو العمود الفقرى للمحادثات . لقد حاولت اسرائيل دوما البحث عن طريق الى الدول العربية . ولا شك أن الملك المغربي هو أحد "القنوات" الممتازة جدا لنقل التلميحات لهذه الدول" .

وحول نتائج المباحثات، تقول الكاتبة: "لقد خرج الطرفان راضيين عن الزيارة التي استغرقت يومين . وقال المقربون من الملك أنهم تأثروا ب"جدية وهيبة" رئيس الحكومة الاسرائيلية وأنه باستثناء الموضوع الفلسطيني، فان نقط الاتفاق كانت أكثر مما توقعوا في البداية . وقد نقل الملك أهم ما دار في محادثاته مع رابين ليس الى الرئيس السادات فحسب، بل أيضا الى الحكام العرب الذين يقيم معهم علاقات خاصة . وهكذا فتح طريق جديد للاتصال بزعماء العالم العربي، بالاضافة الى الطرق الاخرى التي تعمل بالاساس بواسطة الولايات المتحدة وبعض الشخصيات اليهودية" .

وسيكشف رابين فيما بعد (مارس ١٩٨١) للتلفزيون الاسرائيلي أنه التقى مسؤولين كبار من البلدان العربية في المغرب، وأنه أجرى هناك محادثات على أعلى مستوى مع مسؤولين أردنيين عندما كان رئيسا للوزراء ما بين ١٩٧٤ و٠٧٧ .

تل أبيب/الرباط: طريق سالكة في الاتجاهين

بعد زيارة اسحاق رابين، تكثفت الاتصالات المغربية الاسرائيلية، وتمت زيارات "ترمز الى تعاون وثيق وسرى بين الجانبين . ففي أقل من خمسة أشهر، من مارس الى سبتمبر ١٩٧٧، زار اسرائيل أكثر من وفد مغربي، وهي وفود كانت

صديق للملك - ليقول لي أن الحسن الثاني ينتظر على جناح السرعة . لم أستطع أن أقطع زيارتي وفضلت أن يتم ذلك خلال أسبوعين . . وعندما ألح، اتصلت بموشي ديان، وزير الدفاع الاسرائيلي آنذاك، في تل أبيب لآخيره بالزيارة . وجاءتني الموافقة من ديان للقاء ملك المغرب . وحالما وصلت، استقبلني الملك بحبور، ثم طرح علي مباشرة للقاء بعرفات . وكان ردى للملك أنني لست متيقنا من أن هذا اللقاء سينجح أم لا . . ثم طلبت أن أتصل بصديقي ديان لاستشيريه، فحاء رده في الحين: لست ضد اللقاء مبدئيا . . لكنه أضاف: "هناك أزمة خطيرة بين عرفات والملك حسين . ومن الاحسن أن ننتظر حتى تمر هذه الازمة، ذلك أن عرفات ربما لن يكون موجودا في المستقبل" . كان ذلك قبل مذبحه أيلول ١٩٧٠، وكان ديان يعلم مسبقا بالمشروع الاردني لتصفية المقاومة الفلسطينية" (٨) .

وقد أوضحت الصحفية الاسرائيلية تامر غولان في مقال لها بصحيفة "معاريف": "ان الذى يادر بزيارة الدكتور ناحوم غولدمان الاولى للمغرب ونظمها هو رجل الاعمال الدولي جان جولن الذى كان وقتها سكرتيرا شخصيا ومديرا لمكتب غولدمان في الموءتمر اليهودى العالمى . وكان جان جولن قد زار المغرب قبل عدة سنوات من استقلاله عندما أقامت فيه الحركة الصهيونية عملا متشعبا وبدأ تهريب الطليعيين الى اسرائيل . ومنذ ذلك الحين حافظ على علاقات متشعبة مع شخصيات هامة مقربة الى الاسرة المالكة، وقام هو وزوجته بزيارات دائمة للمغرب ودخلوا وخرجوا منه دون مواجهة أدنى صعوبة" (٩) .

أكتوبر ١٩٧٦: زيارة اسحاق رابين

كان اسحاق رابين يشغل منصب رئيس الوزراء في اسرائيل عندما أقلته طائرة مغربية خاصة من باريس وعلى متنها اسرائيليان آخران وشخصية مغربية قيل أنها المستشار العسكرى في سفارة المغرب بباريس . ومكث رابين في المغرب يومين زار خلالهما كلا من فاس والرباط والدار البيضاء وطنجة، ومنها قفل عائدا الى باريس عبر مدريد، بعدما أجرى محادثات مع عدد من كبار المسؤولين المغاربة . ويومها قالت مجلة "جون أفريك" الفرنسية في مقال لها أن الطرفين اعتبرا الزيارة

أغلبها من وزارة الزراعة ووزارة المناجم وشركة الطيران المدني" (١١) . وقد نشرت صحيفة "معاريف" في تلك الاثناء خبرا يقول انه في مكان ما بباريس اجتمع يوم ١٦ يونيو ٧٧ مندوبو المغرب واسرائيل لمكافحة أوبئة المواشي . وكشفت الصحيفة النقيب عن "اهتمام المغرب بشراء الاقبار الاسرائيلية من الصنف الذى يعطي كميات كبيرة من الحليب" . وعلقت مجلة "الدستور" التي نقلت الخبر بقولها انه "اذا كان مفهوم غولدا ماير للسلام يتلخص في شعارها المشهور وهو أن يذهب الاسرائيلي الى أسواق دمشق والقاهرة لشراء البضائع في حرية تامة، فان حكام المغرب على ما يبدو قد سبقوا الاسرائيليين وقصدوا أسواقهم للشراء" (١٢) . وهذا ما أوضحه بجلاء التصريح الملكي لصحيفة "نيوزويك" والذي جاء فيه: "تصوروا ولو لحظة ما يمكن أن تحققه الثروة المالية والاقتصادية العربية الهائلة اذا ما توحدت مع العبرية الخلاقة لاسرائيل من أجل تحويل المنطقة بكاملها" .

الى جانب ذلك، اتخذ النشاط الصهيوني في المغرب أشكالا أخرى تحت غطاء "التعايش اليهودى العربى" . وكانت قد أسست لذلك النشاط في بداية العام ١٩٧٥ بباريس جمعية أطلق عليها اسم "هوية وحوار" على أيدي أربعة من اليهود المغاربة الموالين لاسرائيل، وهم أندرى أوزولاي، جوزيف عفلالو، روبرت الصراف وأندرى اللوز، وقد كان أغلبهم موظفين كبار أو مسؤولين صحفيين في المغرب، ثم انضم اليهم بعد ذلك، أندرى شوراكى الجزائرى الاصل، والذي كان يشغل منصب مساعد حاكم مدينة القدس المحتلة ومستشارا لدفيد بن غريون في الشؤون الاجتماعية، وهو ما أعطاه لقب "أبو مشاكل اليهود الشرقيين في اسرائيل" . وكان شوراكى قد "قابل الملك المغربى عن طريق موريس دروون، وهو من الاكاديمية الفرنسية، ويقول شاهد عيان أنه خرج من اللقاء "متأثرا تماما"، ولدى عودته الى اسرائيل تحدث عن "قصة حبه مع المغرب" وأبلغ حركة "هوية وحوار" ب"ضرورة تأمين وجود دولة اسرائيل عن طريق اندماجها مع الشرق" (١٣) . وتقول الصحفية نامر غولان: "ان رجال "هوية وحوار" هم الذين نظموا زيارتي للمغرب كمراسلة لصحيفة "معاريف"، وسمح لي للمرة الاولى منذ حصول المغرب على الاستقلال بالتحدث مباشرة وبشكل صريح من المغرب الى البلاد واجراء مقابلات مع شخصيات مغربية رئيسية مثل رئيس الحكومة أحمد عصمان ووزير الخارجية . وهم الذين سمحوا لرجل التلفزيون حاييم شيران بأن يصور خلال

ثلاثة أسابيع أماكن يهودية من كل أرجاء البلاد وحفلة عرس الحاخام عمران في وزان، ودعوا الى المغرب ١٢ صحفيا يهوديا وغير يهودى من أوروبا" (١٤) . وتامر غولان هذه، صديقة حميمة لاسحاق رابين . وقد زارت المغرب ثلاث مرات على الاقل وتمكنت - كما تؤكد هي بنفسها - من ربط علاقات وطيدة في الاوساط الحكومية المغربية، وقامت بدور فعال داخل اسرائيل لشرح سياسة الملك وبالاخص نظريته حول "العبرية الاسرائيلية" .

أما على مستوى الاتصالات السياسية بمعنى الكلمة، فقد اتسمت تلك الفترة (١٩٧٧) بتحريك مكثف للشخصيات الصهيونية ذات الاصل المغربى، ففي شهر ماي من ذلك العام، زار المغرب رئيس الرابطة العالمية لليهود شمال افريقيا وزعيم الهستدروت، شاوول بن سمحون الذى "كانت له لقاءات وزيارات متعددة للمغرب" . وقد استقبل مرارا من قبل ضباط في الطيران الملكى" (١٥) . وخلال تلك الزيارة، أجرى محادثات مع رجال الحكم في المغرب، وزار المدينة التي ولد فيها، فاس، "برفقة ممثلين رسميين تماما" (١٦) . ولدى عودته الى تل أبيب، صرح أنه حاول أن يستوضح ما اذا كانت حكومة المغرب تنتهج سياسة هدفها تشجيع هجرة اليهود من اسرائيل الى الخارج، وردا على ذلك قيل له من قبل المسؤولين المغاربة أن ليس هناك أى هدف للضرر أو المس باسرائيل، بل الهدف هو "تشجيع اليهود الاثرياء الذين غادروا المغرب لفرنسا وكندا للعودة والاستيطان في المغرب مجددا" (١٧) .

لقد عاد بن سمحون الى اسرائيل وهو مقتنع بأن القانون الذى أصدرته سلطات الرباط بمنح اليهود المغاربة الحق في الرجوع الى المغرب لا يمثل أية اشارة عدوانية تجاه اسرائيل . كيف لا و"الحكومة المغربية ما انفكت تكشف عن حسن نيتها تجاه اليهود، بل هي تكاد تعترف لهم بالحق في أن يشعروا بقرتهم من اسرائيل . والامثلة على ذلك متعددة . فلما توفى الدكتور بنزاكين - وكان وزيرا في الحكومة المغربية - حضر لجنازته ما لا يقل عن سبعة وزراء (٠٠٠) كما أن قصة حاخام اليهود في المغرب، شالوم مساس، لا زالت هي أيضا عالقة بالاذهان، فقد كان الشخصية الثانية في المحكمة العليا بالمغرب عندما راح الى اسرائيل وقدم ترشيحه الى منصب الحاخام الاكبر للقدس . وعندما انتخب، رجع الى المغرب فورا ليقدم استقالته الى وزير العدل، ثم جمع حقايبه وطفق عائدا الى اسرائيل" (١٨) .

وبعد أسبوع فقط من زيارة شاوول بن سمحون، قام الحاخام مناخيم هاكوهين، وهو عضو في الكنيست، بزيارة ماثلة للمغرب قال انه "تلقى الدعوة اليها من شخصيات رسمية مغربية رفيعة المستوى" (١٩)، كما أن صحيفة الرأي العام الكويتية كتبت نقلا عن جريدة "ايفنتس" أنه "بعد فترة قصيرة من تصريح الملك الذي يدعو الى ضرورة اعتراف العرب بـ"عرقية اسرائيل الخلافة"، استقبل الملك المغربي في الرباط أحد زعماء "اتحاد العمال الاسرائيلي"، سبدل سيمون الذي كان يقوم بزيارة الى المغرب للاتصال مع زعماء الجالية اليهودية ولعقد محادثات مع المسؤولين المغاربة (٠٠٠) غير ان احدى الخطوات الهامة التي اتخذها الملك حول مسألة اجراء الحوار مع اليهود الاسرائيليين كانت في تعليماته الى السفير المغربي في باريس، الدكتور يوسف بلعباس، ليقوم بتمثيل بلاده في الاحتفالات المزمع اقامتها في باريس بمناسبة ذكرى أربعين عاما على انعقاد المؤتمرات اليهودي العالمي الذي يرأسه ناحوم غولدمان" (٢٠).

١٩٧٧: موشي ديان في المغرب

هكذا اذن قطع الطرفان المغربي والاسرائيلي أشواطا كبيرة على طريق تطبيع غير معلن للعلاقات. والحافز على هذا التطور هو أن تلك المرحلة كانت تشهد نشاطا أمريكيا اسرائيليا ومصريا مكثفا لاقامة "صلح" عربي-اسرائيلي. وقد لعب النظام المغربي دورا كبيرا في هذا النشاط منذ البداية. ففي كتابه "خريف الغضب"، يذكر محمد حسنين هيكل أنه في ٤ ماي ١٩٧٧ التقى السادات مع رئيس الدولة المغربي بالرباط. ويلمح هيكل الى دور الوساطة الذي قام به هذا الاخير بين الرئيس المصري وزعيم حزب "العمل" الاسرائيلي شمعون بيريز، خصوصا وأن اسرائيل كانت في ذلك الوقت مقبلة على انتخابات جديدة للكنيست، وكان من المتوقع أن يفوز بها حزب "العمل" ليصبح بيريز رئيسا للحكومة. لكن ما حصل بعد ذلك هو فوز تكتل "الليكود" (غشت ١٩٧٧)، فصعد الى كرسي الحكومة مناخيم بيغين بدلا من بيريز. وأول ما فعلته حكومة بيغين لاختبار نوايا السادات ومصداقية الوساطة المغربية أن قامت - كما يثبت هيكل في كتابه - بارسال معلومات الى السادات، عبر المغرب، تقول بأن هناك "مؤامرة" ليبية ضد السادات. وتضمنت الرسالة الاسرائيلية استعدادا لاعطاء التفاصيل الى مندوب مصرى مفوض

مباشرة وليس عن طريق طرف ثالث. فسارع السادات الى ارسال مدير المخابرات العسكرية المصرية الى الرباط، حيث التقى برئيس المخابرات الاسرائيلية الذي قدم له "قصة تفصيلية عن مؤامرة يديرها القذافي لاغتيال السادات". وبعد هذا أمر السادات بشن "حرب تأديبية" على ليبيا. ولمدة أسبوع كانت الطائرات المصرية تقصف المواقع الليبية على الحدود ووراءها.

في ذلك الحين، ظهر حديث في الصحافة الاجنبية عن اختفاء موشي ديان فجأة عندما كان في زيارة الى بروكسيل، ثم ما لبث أن ظهر في باريس دون مقدمات ودون أن يعرف أحد أين ذهب. وتبين فيما بعد، وهو ما أكده ديان في مذكراته (٢١) أنه كان في المغرب وأن زيارته كانت على دعوة رسمية من النظام المغربي، حيث يقول:

"يوم الاحد ٤ سبتمبر ٧٧ كانت زيارتي الاولى للمغرب، ولم يكن هذا هو اللقاء الاول لممثل حكومة اسرائيل مع المغرب، فلقد سبقته اتصالات عديدة، ولكن نظرا لتشكيل حكومة جديدة في اسرائيل برئاسة بيغين، استؤنفت الاتصالات بين كلتا الدولتين ودعيت الى الرباط. ووافق رئيس الوزراء على رحلتي وتحديثنا فيما بيننا حول موقفنا الذي سأطرحه أمام الملك، وكانت النقطة الاساسية في هذا الموقف هي أننا نريد اتصالا مباشرا مع المصريين لكي نبحث معهم سبل التوصل الى اتفاق سلام وأن يقوم ملك المغرب بمساعدتنا على ذلك".

وفي مدينة ايفران، تقابل ديان مع الملك ومعاونيه. ويقول ديان: "وأخذ الملك يشرح لي وضعه الخاص كوسيط بيننا وبين العرب وكضيف للممثلين الرسميين لحكومة اسرائيل. قال لي في البداية - ربما ليخفف عني - اذا ما انكشف وجودك هنا، فأنني لن أسقط من على العرش، فلدى طائفة يهودية كبيرة وهو مواطنون مغاربة مخلصون (٠٠٠). وأعرب لي الملك مجددا عن تفاؤله بالنسبة للقائنا مع المصريين. وأضاف بعد ذلك بأنه يعتقد أن الاسد سوف ينضم هو الاخر في نهاية الامر. وعن الاردن والفلسطينيين، قال انه اذا ما قام اتحاد فيدرالي بينهما، فستكون الغلبة للفلسطينيين وعندئذ سيطيحون بالملك حسين".

وكتب ديان أيضا عن زيارته هذه أنه كان "محظا عجاب من قبل الملك كسياسي ماهر ومن قبل الكولونيل الدليمي كسكرى ماهر". وعن جو الزيارة نفسها، ذكرت تامر غولان أن شخصية ديان "أثرت كثيرا على مضيفه الذين أشاروا الى أنه "محدث جذاب يتمتع بتفكير غير عادي" (٢٢). وانتهت الزيارة بأن وعد الملك ضيفه بأن يعطيه جوابا بعد خمسة أيام بشأن عقد لقاء مصرى اسرائيلي.

"وبالفعل، في التاسع من سبتمبر، يقول ديان، تسلمت رد المغرب بأن الحكومة المصرية وافقت على عقد مثل هذا اللقاء بين الرئيس السادات ورئيس الوزراء بيغين أو بيني وبين نائب الرئيس المصري بأسرع ما يمكن".

وفي الاسبوع التالي، وبالتحديد يوم ١٦ سبتمبر ٧٧، كان موشي ديان في المغرب ثانية ليلتقي مبعوث السادات، حسن التهامي، بحضور الملك الذي قدمه لنائب الرئيس المصري باعتباره - أي ديان - صديقا قديما للملك. ويؤكد ديان أن هذا الأخير لعب دورا أساسيا في اقناع حسن التهامي بعدم جدوى التمسك بالشرط المصري، ألا وهو الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة: "لقد ساعدني الملك بصفة عامة عندما نصح التهامي بضرورة التخلي عن العناد وأنه من غير الممكن التحدث مع اسرائيل عن السلام في نفس الوقت الذي تفرضون فيه شروطا مسبقة (٠٠٠) وعن مشكلة إعادة الأراضي الى أصحابها، قال الملك أن هذه الأراضي تعدّ ضمانا في أيدي اسرائيل الآن لامنها".

ويضيف ديان أنه من جهته، تحدث عن "أمله في لقاء بيغين-السادات وعن المشكلات التي يمكن أن تترتب عن انسحابنا ووضع المستوطنين اليهود في هذه المناطق وعن مشكلات معقدة أخرى كثيرة، فقلت أنني أومن بقدرتنا على إيجاد حل لكل مشكلتنا مع الملك حسين ملك الاردن، ولكن لن تكون هناك دولة فلسطينية. وفي النهاية اتفقتنا على ما يلي: ١- أن يبعث كلا الطرفين فوراً بتقارير الى زعمي الدولتين للحصول على موافقتهم على عقد لقاء آخر، ٢- أن يتم تبادل وثائق السلام التي أعدت بمعرفة الولايات المتحدة ليدرسها كل طرف على حدة حتى اللقاء القادم، ٣- إذا ما وافق كل من زعمي الدولتين على ذلك، يكون لقاؤنا القادم في المغرب أيضا خلال أسبوعين".

لقد تحول المغرب في تلك الفترة الى محطة للقاءات مكثفة بين المسوءولين المصريين والاسرائيليين، فقد لوحظت آنذاك كثرة تردد كل من حسن التهامي وحسني مبارك على المغرب. وكانت تلك المفاوضات السرية تهدف الى التمهيد للمفاوضات المباشرة والعلنية واعداد المسرح لاعلان قرار مبادرة السادات بالذهاب الى القدس المحتلة. ويقول موشي ديان في مذكراته: "ان ملك المغرب هو الذي كان وراء زيارة الرئيس السادات للقدس في العام ١٩٧٧"، مضيفا "ان السادات رفض في البداية اقتراحا من الرئيس الروماني نيكولاى تشاوسيسكو لمقابلة رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغين، ولكن الفضل يرجع لوساطة الحسن الثاني التي جعلت السادات يغير رأيه، بعد أن طرح عدة معادلات للتسوية خلال لقاءاته معي

ومع المبعوث المصري حسن التهامي".

وبعد مرور حوالي أسبوعين على الزيارة الخيانية للسادات، أي في الثاني من ديسمبر ١٩٧٧، جاءت الزيارة الثالثة لموشي ديان للمغرب. ويعتبر ديان هذه الزيارة أنها أرست بالفعل "أسس اتفاقيات السلام بين مصر واسرائيل". وكان جدول أعمال هذا اللقاء هو مناقشة الوثائق من كلا الطرفين. وعندما انتهت المحادثات، يقول ديان، "كان الوداع حارا للغاية، من الملك في البداية، الذي اكتفى بمصافحتي بالامس، لكنه اليوم يضع قبلة على خدى. وقبل خروجنا طلبت من الملك أن أفضي اليه بعض كلمات على انفراد. قلت له ان بيغين يبلغكم رغبته في لقاؤكم. فرحب الملك على الفور قائلا: "انه ليسرني في أى وقت أن يحل رئيس الوزراء الاسرائيلي عندي".

وبعد بضعة أيام، ذكرت صحيفة "معاريف" أن أوفاية يوسف حاخام اليهود الغربيين في الكيان الصهيوني سيصل الى الرباط وأن الغرض من الزيارة هو توجيه دعوة لعدد من يهود المغرب للاشتراك في المؤتمر العالمي الرابع للمعابد والطوائف اليهودية الذي سيقام في الارض المحتلة بمناسبة الذكرى الثلاثين لقيام الكيان الصهيوني! (٢٣). وكان ممثلوا الطائفة اليهودية المغربية قد شاركوا في أكتوبر ١٩٧٧ في المؤتمر اليهودي العالمي المنعقد في واشنطن، وكان يرأس الوفد "المغربي" دفيد عمار، وهو من الشخصيات المقربة جدا للنظام المغربي. أما عن مشروع زيارة بيغين للمغرب، فالظاهر أنها لم تتم نظرا لرغبة بيغين في أن تكون الزيارة رسمية وليس سرية. وقد عبر مرة عن رأيه هذا لاحدى الصحف الامريكية فقال: "لو أردت أن أقوم بزيارة سرية للمغرب لكنت فعلت ذلك. انني أريد زيارة رسمية. ان زيارة سرية أو لقاء سرية ربما كان سيتم لو لم يقيم السادات بزيارتنا. أما الان فلا شيء يدفعني الى ذلك. وربما لا يسمح لي وضعي كرئيس وزراء أن أزور المغرب سرية" (٢٤). وتؤكد تامر غولان من جهتها أن السبب في إلغاء الزيارة هو "أن المغاربة أرادوا أن يحمل رئيس حكومة اسرائيل معه "مقترحات جديدة" تقدم المفاوضات خطوة الى الامام، وتوقعوا تحركا في موضوع الفلسطينيين. ولكن يبدو أن الاسرائيليين اعتقدوا بأنه اذا كان عليهم أن يتخذوا موقفا جديدا في هذا الموضوع المعقد، فان ذلك يمكن أن يحدث في اطار المفاوضات مع الاطراف المعنية بالامر مباشرة: الولايات المتحدة، مصر أو الاردن" (٢٥).

وستذكر الاذاعة الاسرائيلية فيما بعد (١١ أكتوبر ١٩٨١) نقلا عن مناحيم

يبغين أن الملك المغربي وجه اليه منذ سنوات عدة دعوات لزيارة المغرب . وأضاف
بيغين في تصريح أدلى به في الطائرة التي أقلته من القاهرة بعد أن شارك في
تشيع جنازة أنور السادات وعلم بأن المغرب عدل عن قراره بالاشتراك في تشيع
الجنازة بسبب وجوده بالقاهرة: "انه لنفاق، فقد دعاني الملك الحسن الثاني
بنفسه لزيارة المغرب، وقد رفضت لاصراره أن تكون الزيارة سرية".

ما بعد كامب ديفيد

ولم يترك النظام المغربي مناسبة تمر دون التعبير عن تأييده للمبادرة
الساداتية ولمخطط كامب ديفيد، كما جاء ذلك في نص الرسالة الملكية الموجهة
يوم ٢٠ يناير ١٩٧٨ الى السادات: " ولا زلنا نأمل أن يقف جميع الاشقاء
المعنيين بأمر الاحتلال الاسرائيلي بجانبكم ويضعوا ثقلهم جميعا للضغط معكم ".
كما خص خطاب العرش يوم ٣ مارس ١٩٧٨ مبادرة السادات بفقرة مطولة جاء
فيها: "وحدث في آخر السنة الماضية حادث لفت الانظار وأثار الاعجاب والاكبار
وتعلقت به آمال المحبين للسلام المتطلعين الى استتباب الامن بصفة نهائية في
منطقة الشرق الاوسط، ذلك الحادث هو المبادرة التي اتخذها أخونا وصديقنا
الكبير، الرئيس محمد أنور السادات، فقد أعلن هذا الاخير التزامه لزيارة القدس
والتفاوض مع قادة اسرائيل للوصول الى حل يضع حدا للنزاع القائم بين العرب
واسرائيل منذ ثلاثين عاما، وبادرنا على الفور الى تأييده وتشجيعه، اعتقادا
راسخا منا أن الغاية من اتخاذ المبادرة ليست هي الدفاع عن المصرية الصرفة،
وانما القصد أعم وأشمل، ألا وهو ايجاد الحل مع المخاطب الاسرائيلي"، وأضاف:
"لكن مبادرته هذه، وان أدركت الدول الغربية وبعض الدول العربية ما اتسمت به
من اقدام كبير وشجاعة نادرة، حكمت عليها دول عربية أخرى مسبقا وفهمتها فهما
غير صحيح وتناولتها بالتنديد والانكار".

ويتطور العلاقات الاسرائيلية المصرية على النحو الذي مضت فيه بعد زيارة
السادات وتوقيع اتفاقيتي كامب ديفيد والمعاهدة المصرية الاسرائيلية، لم ينقطع
حيل الارتباطات بين تل أبيب والرباط، بل انه على العكس، ازداد وثوقا وظل
المسؤولون الحكوميون والزعماء السياسيون الصهاينة يترددون على المغرب، على

الرغم من أن هذا الاخير قد تكلف برئاسة اللجنة الخاصة ب"الجهاد من أجل
تحرير مدينة القدس"، وفوضته منظمة المؤتم الاسلامي باجراء الاتصالات الضرورية
لتحقيق هذه الغاية. "وربما فهم الحسن الثاني - أو على الأرجح كان ذلك من
صلب قرار التفويض نفسه! - أن هذه الاتصالات تشمل الاسرائيليين أيضا" (٢٦).
وهكذا استمرت الاتصالات على أكثر من صعيد، و"أعربت شخصيات اسرائيلية
عديدة عن رغبتها في السفر الى المغرب، والرباط لم تعط ردا سلبيا. والمغاربة
معنيون بالوصول الى علاقات يهودية عربية "عادية" وحتى اسرائيلية عربية (٥٠).
كما أن المغرب على استعداد لاقامة علاقات مع اسرائيليين آخرين، من التعليم
حتى الزراعة والسياسة" (٢٧).

لقد اعتبر النظام المغربي أن السادات بتوقيعه معاهدة كامب ديفيد عمل
ما في جهده وقطع المسافة التي كان يجب عليه أن يقطعها، والان يأتي دور
الآخرين، وهم الاردنيون بالدرجة الاولى. وعلى هذا الاساس، بدأ في التهييء
لهذه المرحلة الجديدة المعقدة بالتنسيق مع الاردن والاسرائيليين، وخصوصا منهم
أصحاب "الخيار الاردني" وحزب "العمل" الاسرائيلي تحديدا. من هنا كانت
اللقاءات المتكررة مع زعيم حزب "العمل"، شمعون بيريز. وقد تم اللقاء الاول
عام ١٩٧٩، واقتصرت المعلومات التي تردت حوله على أن الطرفين ناقشا
احتمالات كسر الجمود في مفاوضات "السلام" بالشرق الاوسط. وسوف يؤكد بيريز
تلك الزيارة فيما بعد، عندما أبلغ العائلات اليهودية التي زارها مع هرتسوغ في
أبريل ١٩٨٤ أنه قام هو الاخر بزيارة سرية الى المغرب في العام ١٩٧٩.

أما اللقاء الثاني، فقد كشف عنه التلفزيون الاسرائيلي حين ذكر في احدى
نشرات الاخبارية ليوم ١٩ مارس ١٩٨١ أن شمعون بيريز يوجد في الرباط حيث
التقى رئيس الدولة المغربي بحضور شقيق الملك حسين وولي عهده الحسن بن
طلال. ورغم أن وزير الاعلام المغربي حاول - عبثا - تكذيب الخبر، إلا أن بيريز
أكد بصفة غير مباشرة موضحا أنه "التقى فعلا بزعماء عرب" ولكنه رفض الكشف عن
أسمائهم محافظة منه على "وعد بالسرية"، وأضاف يقول: "عندما أجتمع بزعماء
عرب، فأنني أبلغهم سياسة حزب العمل التي هي ضد قيام دولة فلسطينية مستقلة
وضد المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية واننا مع القدس الموحدة".
وكالعادة، بدأ كل شيء من أوروبا: "كان زعيم حزب العمل الاسرائيلي
يزور لندن "زيارة خاصة". ويومها كان موجودا في العاصمة البريطانية الامير حسن،
ولي العهد الاردني في "زيارة شخصية" أيضا. أما العاهل المغربي، فكان يقوم

٣- في اتجاه التطبيع

ماي ١٩٨٤ : مؤتمر صهيوني علني في المغرب

في خطوة تطبيقية علنية هذه المرة، وتحت غطاء اجتماع مجلس الطوائف اليهودية المغربية، انعقد في الرباط يومي ١٣ و١٤ ماي ١٩٨٤ مؤتمر صهيوني ضم حضره بدعوة رسمية من السلطات المغربية عدد كبير من أقطاب الصهيونية قادمين من "إسرائيل" والولايات المتحدة وكندا وفرنسا. وضم الوفد الصهيوني أزيد من ٣٥ شخصية، من بينهم وزيران سابقان وثمانية نواب في الكنيست ممثلين عن تكتل الليكود وحزب "العمل" والمابام، وأبرزهم هارون أبو حصيرة من حزب "تامي"، وعدد من رؤساء البلديات وأساتذة جامعيين وحشد من مديري الجرائد الاسرائيلية. وقد وصل أعضاء الوفد مرفوقين بزوجاتهم على متن طائرة مغربية خاصة أرسلت الى باريس لنقلهم الى الرباط. كما شارك في المؤتمر أيضا عدد من كبار مسؤولي المؤسسات الصهيونية العالمية، وعلى رأسهم ادغار برونفمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي، وستيفان سولارز عضو مجلس النواب الأمريكي، وثيو كلين رئيس المجلس التمثيلي للمؤسسات اليهودية بفرنسا، وحاك عطالي مستشار الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران. وقد حرص النظام المغربي على إبراز رعايته ومباركته للمؤتمر الصهيوني

بزيارة سرية الى العاصمة الفرنسية قابل خلالها السفير الاردني في باريس، ثم عددا من الشخصيات الصهيونية والاسرائيلية من بينها ناحوم غولدمان وتيدي كولييك، رئيس بلدية القدس المحتلة. وتروى القصة الصحفية أن العاهل المغربي اتصل برئيس تحرير مجلة "نوفيل أوبسرفاتور" وكلفه بالاتصال بشمعون بيريز لينتفق معه على موعد قريب جدا. في المغرب، كما أرسل مستشاره الخاص رضا غديرة الى لندن لمقابلة ولي العهد الاردني. وفي ١٨ مارس، كان الثلاثة: الحسن الثاني والحسن الاردني وشمعون بيريز في الرباط يعقدون اجتماعا حضره المستشار غديرة. ويومها وصف الراديو الاسرائيلي الاجتماع بأنه كان مطولا وبأن بيريز أعرب فيه عن نية حزب "العمل" منح الفلسطينيين "حكمهم الذاتي" في غزة دون موافقة عرب الضفة الغربية، في حين طلب الامير الاردني مزيدا من التفاصيل في الاجتماعات المقبلة. بينما ركز الملك المغربي في مداخلة على "فشل كامب ديفيد اذا لم تلحقه خطوات أخرى" وعبر عن اعتقاده بأن الخطوة الحالية يجب أن تبدأ مع الاردن باتجاه منظمة التحرير. كما أبلغ بيريز محدثيه بأنه سيحاول تحقيق تسوية بشأن القدس مع السعودية اذا ما شكل حزب "العمل" الحكومة المقبلة في إسرائيل. وقد افتعلت آنذاك ضجة في الاوساط الحاكمة في إسرائيل حول اجتماع بيريز في الرباط، لانه لم يأخذ سلفا موافقة الحكومة!

"وبعد هذا كله، يمكن أن نفهم تماما الان لماذا طرح السعوديون في ذلك الوقت مشروعهم الخاص بتصفية الصراع العربي الاسرائيلي والقضية الفلسطينية، وهو المشروع الذي اشتهر باسم "خطة الامير فهد" الذي كان وليا للعهد في السعودية قبل أن يصبح ملكا، ولماذا اختير المغرب مرتين لعقد القمة العربية في دورتين متعاقبتين: الاولى في أواخر ١٩٨١، والتي أرادها السعوديون والمغاربة بشكل خاص أن توافق على "خطة الامير فهد" التي انفرد عقدها بسبب معارضة بعض الزعماء العرب للخطة، ثم القمة اللاحقة التي انعقدت في أواخر ١٩٨٢، والتي أقرت خطة فهد بعد ادخال تعديل طفيف عليها، وفي ظروف الاحتلال الاسرائيلي للبنان واخراج قوات الثورة الفلسطينية من بيروت والجنوب اللبناني، ولماذا اختير المغرب مرة أخرى لعقد القمة الاسلامية التي قررت الاعتراف بكامب ديفيد واستئناف عضوية مصر في منظمة المؤتمر الاسلامي. وفي الحالات الثلاث، كان العاهل المغربي، جنبا الى جنب مع الملك السعودي بشكل خاص، يلقي بكل ثقله من أجل التسوية الاستسلامية لقضية الصراع العربي الاسرائيلي" (٢٨).

هذا: فيحضور عدد هام من الشخصيات المغربية الرسمية، افتتح المؤتمر وزير الداخلية المغربي ووزير الدولة أحمد العلوي الذي لم يرد في كلمته ذكر لمنظمة التحرير الفلسطينية واقترح انشاء جمعية من أجل ما أسماه "السلام بين العرب واليهود". وقد رد رئيس المؤتمر اليهودي العالمي بقوله: "ان دولة اسرائيل هي في واقع الامر حقيقة قائمة، لكن ذلك لا ينبغي أن يكون عقبة أمام علاقات جيدة بين اليهود والمسلمين" على حد قوله.

وأثناء الجلسات العلنية للمؤتمر، وجه هارون أبو حوصيرة ورفائيل ايدري رئيس الوفد دعوات لرئيس الدولة المغربي من أجل زيارة اسرائيل. وقال ايدري: "ان العاهل المغربي سيلقى اذا ما رغب في ذلك أفضل استقبال لم يحظ به رئيس دولة من قبل". وعلى كل حال، فان الوفد الصهيوني من جهته لقي استقبالا واهتماما كبيرين من جانب السلطات المغربية. وفي هذا السياق، استضاف ولي العهد المغربي أعضاء الوفد الى مأدبة عشاء على شرفهم وبمعيته أعضاء الحكومة بكاملها وكبار الرسميين وحتى بعض الشخصيات "المعارضة". وقد أبدت الاوساط الصهيونية ارتياحها للحفاوة التي استقبل بها الوفد، لاسيما - كما قالت - ان السلطات المغربية منحت تأشيرات دخول لعدد من أعضاء الوفد الاسرائيلي وهم ليسوا من مواليد المغرب!

ونقل مراسل راديو العدو أنباء تتحدث عن احتمال تشكيل "لجنة صداقة مغربية اسرائيلية" تكون اطارا لاستمرار ما يسمى "الحوار العربي اليهودي". ومن جهته أشاد وزير الحرب الصهيوني السابق، عيزر وايزمان، بما وصفه "شجاعة الملك المغربي والخطوات الجريئة التي اتخذها بالنسبة لاسرائيل". كما أعلن يوسي سريد اثر مؤتمر الرباط أنه "واثق بأن الملك المغربي يستطيع أن يلعب دورا أساسيا بحمل الفلسطينيين والاردن على الالتحاق بالسلام". وأخيرا، صرح ماير شيتريت بأنه يعتقد أن "أهم نتيجة لهذا المؤتمر قد تكون هي فتح الطريق لمبادرة سلام جديدة في العالم العربي" (٢٩). وكانت السلطات المغربية قد أعربت بمناسبة انعقاد المؤتمر الصهيوني عن استعدادها للتوسط بين منظمة التحرير والكيان الصهيوني في عقد اجتماع بينهما. وقد تحدث رئيس الدولة في مقابلة مع راديو فرنسا الدولي فقال: "انني أوجه الان دعوة رسمية لاي مؤتمر ولاي نقاش يودى الى عقد اجتماع بين الاسرائيليين ومنظمة التحرير الفلسطينية"، مضيفا: "انني لن أكون معهم لكن الى جانبهم، واذا احتاجت العجلات الى التشحيم فسأكون أول من يحضر للتشحيم".

أما على الصعيد العربي الرسمي، فان الصمت الذي التزمته أكثر الانظمة العربية ازاء خطوة استضافة مؤتمر صهيوني على أرض المغرب، يشير الى موافقتها على المبادرة ويبين أن النظام المغربي لم يقدم عليها بالاصالة عن نفسه فقط، بل أيضا بالنيابة عن حلفائه العرب وبخاصة السعودية ومصر والاردن، لاسيما وأن رئيس الدولة المغربي هو في الوقت نفسه رئيس "لجنة القدس" ورئيس القمة الاسلامية ورئيس القمة العربية. وقد أوضح في المقابلة المذكورة أعلاه، ردا على سؤال حول ما اذا كانت الانظمة العربية مستعدة للاعتراف بالكيان الصهيوني: "انني أترأس اللجنة السباعية العربية المكلفة بشرح مشروع فاس الذي يعترف باسرائيل ويدعو الى اشراك منظمة التحرير الفلسطينية في المفاوضات". وأضاف قائلا: "هذه خطتنا العربية"!

في الوقت نفسه، صرح الارهابي اسحاق شامير معلقا على المؤتمر بأن زيارة الوفد الاسرائيلي للمغرب "تشهد بأن العالم العربي يخضع شيئا فشيئا للاعتراف بوجود دولة اسرائيل".

وقد اعتبر اللقاء الفلسطيني المنعقد بالجزائر بين ممثلي الفصائل الفلسطينية الخطوة التي أقدم عليها النظام المغربي "تسللا صهيونيا الى قلب الصف العربي في الوقت الذي هزم فيه الشعب اللبناني العظيم اتفاق ١٧ مايو ويقاوم فيه الشعب المصري العظيم التطبيع ويضغط بقوة لقطع العلاقات الدبلوماسية ولإلغاء اتفاقيات كامب ديفيد مع الكيان الصهيوني". وجاء أيضا في البيان الذي أصدره اللقاء: "ان ممثلي القوى الفلسطينية المشاركة في اللقاء يشحون بشدة هذا التطور الخطير في السياسة المغربية المنسجم مع المخططات الامريكية والهادفة الى تحطيم الارادة العربية في المجابهة وفرض الوجود الاسرائيلي على المنطقة العربية وتصفية أهداف الشعب الفلسطيني ووجوده".

واذا كان الهدف الأول من عقد ملتقى صهيوني من هذا الحجم وذلك المستوى هو تحضير الاجواء لمبادرة تصفوية جديدة بشأن القضية الفلسطينية، فان الهدف الاساسي الثاني هو تعزيز مكانة النظام المغربي لدى الولايات المتحدة بتقديم المزيد من الضمانات والخدمات السياسية اليها، من أجل الحصول على دعم أمريكي اضافي في شكل مساعدات مالية وأمنية تمكنه من التنفيس عن أزمته الاقتصادية المستحكمة والتي انفجرت قبيل ذلك ببضعة أشهر من خلال الانتفاضة الشعبية العارمة لشهر يناير ١٩٨٤، وكان الخطاب الرسمي قد التجأ وقتها الى اتهام الصهاينة بالوقوف وراءها - أي الانتفاضة - محاولة منه للتغطية والتمويه عن

الدوافع الداخلية الحقيقية، فجاءت استضافة الصهاينة الحقيقيين تكديبا ساطعا لذلك!

ولقد عبر أحد الصهاينة المشاركين في المؤتمرات عن ذلك بقوله: "إن حضورنا سيزيد من أهمية الملك الحسن في الولايات المتحدة ولدى اليهود في العالم أجمع". كما أن ادغار برونفمان في كلمته أمام المؤتمر لم تفتت الإشارة إلى أن اللوبي اليهودي في الكونغرس سيضاعف دعمه للمغرب في مجال المساعدات الأمريكية لهذا الأخير.

إلى ذلك، "تصادف" انعقاد المؤتمر الصهيوني مع إجراء المناورات العسكرية المغربية الأمريكية المشتركة فوق التراب المغربي والتي دامت شهرا كاملا من ٢٤ أبريل إلى ٢٤ ماي، ومع انعقاد الاجتماع الثاني للجنة العسكرية المشتركة بين البلدين برئاسة وزير الدفاع الأمريكي كاسبار واينبرغر الذي قال في نهاية الاجتماع أنه لا يعرف قوات عسكرية أخرى يحبذ أن تكون بجانبه عند الحاجة غير الجيش المغربي، مشيدا بـ"الدور الرائع الذي حققتة اللجنة العسكرية المشتركة". وقد كان المتحدث باسم الجانب المغربي في الاجتماع المذكور قد أعلن بدوره أن المغرب "لا يتردد في الدفاع عن السلام والحرية حتى خارج حدوده، عندما يعتدى على أصدقائه أو عندما يطلب منه أصدقاؤه الدعم". وفي أعقاب الاجتماع تقرر في البيت الأبيض رفع قيمة "المساعدات" الاقتصادية والعسكرية الموجهة للرباط. ومن المعروف أن التحالف بين النظام المغربي والإدارة الأمريكية قد عرف تدعيما نوعيا منذ صعود ريغان إلى السلطة بشكل خاص، وتجسد على المستوى العسكري بإبرام اتفاقية ٢٧ ماي ١٩٨٢ التي منحت الولايات المتحدة مزيدا من القواعد والتسهيلات العسكرية المتنوعة، استجابة لحاجيات قوات التدخل السريع المرتبطة بحاجيات الكيان الإسرائيلي على وجه التحديد (٣٠).

أدوار صهاينة المغرب : الطابور الخامس

في ردها على الانتقادات التي أثارها انعقاد المؤتمر الصهيوني بالمغرب، حرصت أجهزة الإعلام المغربية على القول بأن المغرب "حر في استدعاء اليهود المغاربة أينما كانوا" وأنه "حر في أن ينظم فوق ترابه كل المؤتمرات التي يريد". والحالة أن اليهود "المغاربة" يعتبرون أنفسهم إسرائيليين بالكامل "يدينون

بالولاء للصهيونية ويخوضون كل معاركها ضد العرب، بما في ذلك ضد المجموعات العسكرية التي حرص الاعلام الرسمي المغربي على تذكيرنا بأن الملك أرسلها للقتال إلى جانب الجيوش العربية في الحروب مع إسرائيل" (٣١). وكان هارون أبو حصيرة قد أوضح دعوته الملك المغربي لزيارة إسرائيل قائلا: "إننا عندما نرجو من ملك المغرب أن يزور جالبيته اليهودية المقيمة في إسرائيل، فنحن لانطلب منه أن يتخلى عن موافقه أو مواقف البلدان العربية بشأن مشكلة الشرق الأوسط" (٣٢). ويعني ذلك بعبارة أخرى وجود تفاهم ضمني حول دور اليهود المغاربة، وهو ما عبر عنه أيضا دافيد عمار رئيس مجلس الطوائف اليهودية بالمغرب عندما صرح ليلة اللقاء الصهيوني بالرباط: "إننا نريد بهذا المؤتمر تكريس دور مجلسنا وسط اليهودية العالمية" (٣٣).

وهنا لابد من التوقف للتذكير بالمضمون الحقيقي للولاء اليهودي كمرتكز أساسي تقوم عليه الحركة الصهيونية. فالاديولوجية الصهيونية قامت ولا تزال على الادعاء بأن العودة إلى "الأرض الموعودة" هي جوهر المسألة اليهودية. ثم أصبحت توءكد أن "إسرائيل" هي المركز الروحي لـ"شعب يهودي متحد"، وعلى هذا الأساس يطالب الصهاينة بجنسية مزدوجة لليهود ويسعون إلى توفير شرعية دولية لهذه المطالبة، وأيضا تسهيل هجرتهم إلى فلسطين: "إن الصهيونية التي تطرح نفسها على أنها الحل الواحد للمسألة اليهودية تعني أولا وقبل كل شيء ضرورة العودة إلى الوطن القومي المزعوم، وأي شيء خلاف هذا ليس سوى اعتراض لفظي ليس له قيمة كبيرة. وإذا أراد المرء أن يعطي اصطلاح "صهيونية" مضمونه الصحيح فلا نجده يعني الا شيئا واحدا أساسيا هو نقل السكان إلى الهجرة" (٣٤). وقد تحدث ناحوم غولدمان أكثر من مرة عن الولاء اليهودي بقوله: "يجب اقتناعهم - أي اليهود الذين يعيشون في أنحاء العالم - بأنهم على حق تام بأن يربطوا مصيرهم بمصير إسرائيل. وعليهم أن تكون لديهم الشجاعة الكافية للانفلاق عن فكرة اخلاص اليهود للدول التي يعيشون فيها" (٣٥). ونذكر هنا بأن ناحوم غولدمان، وهو أحد زعماء الصهيونية البارزين، من أوائل من وضعوا أسس العلاقات المغربية الإسرائيلية.

على أن فكرة "اليهودي الخالص" هذه واجهت عقبات عدة فرضت تنازلا على الصعيد التكتيكي، فأصبح الصهاينة يطالبون الأفراد ذوي الاصل اليهودي بأن يكون لهم انتماء ثنائي أي أن انتقالاتا حدث من "اليهودي الخالص" إلى "اليهودي المزدوج" الذي يمكنه أن ينتمي إلى مجتمعين ووطنين في آن واحد. وعليه أخذت

المطالبة بأن يحق لليهود حمل جنسية مزدوجة. وبذلك "حول هذا الانتقال اليهود في بلاد العالم الى "طابور خامس" للامبريالية العالمية والصهيونية ودولتها اسرائيل"، دون أن يغير ماهية أفراد هذا الطابور" (٣٦) .

ولقد نشط الصهاينة المغاربة على هذا الاساس بالفعل ، وأصبحوا يجاهرون بولاءهم لاسرائيل ويقيمون تظاهرات صهيونية محضة، سواء على أرض المغرب أو خارجه. وهكذا قطعت خطوة جديدة في اتجاه تركيز دور الطابور الخامس الذي يلعبه هؤلاء ، حيث لم يعد الامر يقتصر على استعمال تغطية "مجلس الطوائف اليهودية بالمغرب"، بل تم انشاء اطار أوسع أطلق عليه اسم "التجمع العالمي لليهود المغاربة" الذي عقد مؤتمره الاول يومي ١٧ و١٨ أكتوبر ١٩٨٥ بمونريال عاصمة كندا، بمشاركة زهاء ١٥٠ مندوبا قدموا من "اسرائيل" وثمانية دول أخرى ، وقالوا ان مبرر اجتماعهم هو انحذارهم جميعا من "أصل مغربي". وانتخب التجمع رئيسا له دفيد عمار الذي أعلن أن من يسميهم ذوي الاصل المغربي متعددوا الولاءات فهم موالون للبلد المضيف وموالون لاسرائيل التي أعلن اشتراك المؤتمرين في التضامن معها. وينوب عنه في الرئاسة رفائيل ايدري رئيس مجموعة حزب "العمل" في الكنيسيت الصهيوني. ولم يخف ايدري أن انعقاد هذا التجمع سوف "يساعد على فتح مفاوضات مباشرة بين اسرائيل ووفد أردني فلسطيني برئاسة الملك حسين لاتمثل فيه م.ت.ف وذلك فوق أرض المغرب".

وقد شارك دفيد عمار في اجتماع المؤتمر اليهودي العالمي الذي أنهى أشغاله يوم ٣٠ يناير ١٩٨٥ بالقدس المحتلة. وذكرت وكالة الانباء الفرنسية، نقلا عن الصحيفة الاسرائيلية "دافار" أن دفيد عمار قدم تقريرا ضافيا أمام الاجتماع حول نتائج جهوده من أجل جلب الاموال من اليهود المغاربة الاثرياء المتعاطفين مع اسرائيل لتطبيق خطط الاستيطان التي اقترتها الحكومة الاسرائيلية وتوفير الشغل لليد العاملة في المستوطنات الجديدة. كما أشارت الوكالة الى أن دفيد عمار نفسه يساهم بقسط كبير من رساميله الطائفة في تنمية المشاريع الاستيطانية، ضمن استراتيجية تهويد الاراضي العربية المحتلة ونهب ممتلكات أبناء الشعب الفلسطيني وطمس معالم الشخصية الوطنية الفلسطينية.

وفي أواخر شهر ماي ١٩٨٦ ، قدم الى المغرب أكثر من مائتي "يهودي اسرائيلي" بدعوى المشاركة في احتفالات "هيلولة"، برعاية مجلس الطوائف اليهودية بالمغرب الذي يتزعمه دفيد عمار. وكان على رأس الصهاينة الوافدين الى المغرب والذين قاموا بزيارة أكثر من منطقة مغربية ، اسحاق بيريتز ورفائيل ايدري من

حزب "العمل" ومبير شيريت من تكتل الليكود ، اضافة الى هارون أبو حصيرة. وكلهم كانوا من المشاركين في مؤتمر الرباط في شهر ماي ١٩٨٤ . هذا وقد "شارك وفد اسرائيلي من ٢٥٠ عضوا برئاسة رفائيل ايدري في الاحتفالات التي أقيمت في أيار/يوليو الماضي بمناسبة عيد ميلاد الملك الحسن الثاني. وقد تردد في حينه أن ايدري حمل رسالة من رئيس الوزراء شمعون بيريز الى الملك المغربي" (٣٧) . وكان ذلك قبل أسبوعين فقط من زيارة بيريز للمغرب وانعقاد قمة ايفران .

أهداف قمة ايفران

وهكذا نرى أن لقاء ايفران لم يأت معزولا عن هذا السياق المكثف الذي شهدته العلاقات المغربية الاسرائيلية. وبدون الرجوع الى مداولته وسائل الاعلام حول المظاهر الخارجية لهذا اللقاء ، من الضروري التركيز على النقاط دلالاته الطبيعية بالنسبة للمرحلة القادمة ، على خلفية "الرصيد" الذي حققته العلاقات مع الكيان الصهيوني لحد الان .

وأول ما ينبغي التأكيد عليه في هذا الصدد هو أن الدافع الرئيسي وراء اخراج علاقات الطبقة الحاكمة في المغرب مع قادة وممثلي العدو الصهيوني من مرحلة السرية أو شبه السرية الى دائرة الضوء والعلنية يكمن في ضرورة تأمين أقصى الدعم الامريكي والغربي من أجل التخفيف من مظاهر الازمة الاقتصادية والمالية التي تعيشها الدولة المغربية على الخصوص منذ بداية العقد الحالي ، وبالاخص مع دخول الدول الخليجية نفسها مؤخرًا عهد انخفاض أسعار النفط. ولتحقيق هذا الهدف ، تأمل الطبقة الحاكمة في تحريك اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة وداخل الاوساط المالية الدولية ، وتوظيف دور اليهود "المغاربة" لخدمة هذا التحرك نفسه. وفي هذا الصدد ، أشارت مصادر عدة في واشنطن الى دور هنري كيسنجر في ترتيب لقاء ايفران باعتباره رئيس اللجنة الامريكية المغربية. ومنذ انتخابه رئيسا لهذه اللجنة قبل سنة ونصف السنة تقريبا ، وهو يسعى جاهدا لمضاعفة حجم المساعدات الاقتصادية للمغرب ، ان كان بواسطة الكونغرس أو بواسطة البنك الدولي . وكانت الديون المترتبة على المغرب قد وصلت الى ١٧ مليار دولار بحيث لم تعد الحكومة المغربية قادرة على تسديد التزاماتها السنوية (٣٨) .

وقد أشار رضا غديرة الى هذا الاهتمام نفسه في مقال له بمجلة "تايم" الامريكية التي خصت ملحقا دعائيا ضخما للمغرب في أعقاب لقاء ايفران . فبعد أن أكد أن "المغرب عضو كامل العضوية في المعسكر العربي وقلعة متقدمة للدفاع عن هذا المعسكر" ، اعتبر ان ما تتلقاه الحكومة المغربية من مساعدات أمريكية لا يتناسب على حد قوله مع "مساهمة المغرب في الدفاع عن استقرار العالم الحر" (٣٩) .

لكن خطوة الانفتاح العلني على العدو الصهيوني التي أقدمت عليها الطبقة الحاكمة في المغرب عبر لقاء ايفران - وبالتوقيت الذي اختير لها - ترمي من جهة أخرى الى تسريع وتيرة اللحاق العربي بكامب ديفيد واستكمال مساعي المخطط التصوي للفضية الفلسطينية. وهذا ما تجلى من خلال التطورات التي أعقبت لقاء ايفران مباشرة، وفي مقدمتها "التنقيس" على النظام المصري وتسهيل عقد قمة مبارك/بيريز بالاسكندرية . وفي هذا الصدد أيضا يتهاى النظام المغربي لاستئناف العلاقات الدبلوماسية الرسمية قريبا مع القاهرة، بينما يتم التمهيد لحل الجامعة العربية وتأسيس منظمات اقليمية بديلا عنها ، مما يعني فتح الطريق علانية للتعامل مع العدو الصهيوني !

ومن هنا فالمنتظر أن يكتف النظام المغربي علاقاته مع الكيان الصهيوني ، كاستمرار ل"المنجزات" السابقة من جهة، وكدليل معلن عن ارادة التطبيع ودعوة غير مباشرة لباقي الدول العربية لسلوك النهج التطبيعي اياه . وهذا ما عبر عنه وزير الدولة المغربي أحمد العلوي في مقابلتين مع صحيفتي "دافار" و "جيروزاليم بوست" الاسرائيليتين، حين قال ان لقاء ايفران نجاح على المدى البعيد : "ان الانجاز الاول يكمن في حقيقة أن الاجتماع انعقد علنا أمام العالم كله، وبالنسبة لي هذه نقطة تحول تاريخية (. . .) لاشك في أن هناك من الان فصاعدا تغييرا ماديا ونفسيا في العلاقات بين اسرائيل والدول العربية" (٤٠) .

وفي هذا المجال وجهت السلطات المغربية الدعوة الى وزير النقل الاسرائيلي حاييم كورفو للمشاركة في ندوة دولية حول النقل ستعقد قريبا في المغرب . وكان شمعون بيريز قد أبلغ التلفزيون الاسرائيلي قوله أنه "جرت وتجري وستجرى اتصالات مع المغرب" . وهذا في الوقت الذي أصدرت فيه السلطات الاسرائيلية قانونها القاضي بتحريم أى اتصال سياسي بين "المواطنين الاسرائيليين" وأعضاء منظمة التحرير الفلسطينية !

خاتمة

ان مجمل هذه الوقائع التي طبعت العلاقات المغربية الاسرائيلية على مدى أزيد من ثلاثين سنة، وما اتسمت به من استمرارية وتواصل . . لتبين بوضوح أن قيام وتطور تلك العلاقات على النحو الذي وصفناه ليسا وليدى الصدفة، بل هما النتيجة الطبيعية لنهج ثابت وسياسة قارة مارسنها وتمارسها الطبقة الحاكمة في المغرب، في اطار ارتباطها وتحالفها الوثيق مع الامبريالية الامريكية . وبالامكان تلخيص "فلسفة" الطبقة الحاكمة حول الصراع العربي الصهيوني في عدد من المنطلقات الاديولوجية والسياسية أساسها :

اولا: اعتبار الصراع العربي الصهيوني نزاعا ذا مستويين : نزاع عربي يهودي ثم نزاع عربي اسرائيلي، وأن الاول يطغى على الثاني . واذا ما أزيل النزاع بين العرب واليهود، يزول بالنتيجة النزاع العربي الاسرائيلي . وهو ما يقود الى نظرية "الحاجز النفسي" الشهيرة التي برر بها السادات زيارته الى القدس المحتلة، حيث قال ان السبب الاساسي في النزاع مع اسرائيل هو سبب نفساني !

والواقع أن تصوير الموضوع بهذه الطريقة إنما القصد منه تبرير الدعوة الى ما يسمى بالحوار والتسامح العربي اليهودي ، أى بعبارة أخرى الحفاظ على شروط التعامل ليس مع اليهود فقط ، بل في النهاية مع "اسرائيل" باعتبارها "دولتهم" . والحقيقة أن هذا التعامل يتخذ ، بالنسبة للطبقة الحاكمة في المغرب ، صورة الشراكة الاقتصادية والسياسية لما ذكرناه سابقا حول دور اليهود "المغاربة" في ضمان مصالح هذه الطبقة وتدعيم تحالفها مع الإدارة الأمريكية ومع كافة المراكز الرأسمالية العالمية . وبهذا نفهم لماذا لم يجد رئيس الدولة المغربي أى حرج في تبني المفهوم الاسرائيلي للسلام : "السلم بالنسبة لاسرائيل هو فتح التعامل البشرى بينها وبين جيرانها : فتح الحدود ، التبادل الدبلوماسي ، التبادل التجاري ، مشاريع اقتصادية مشتركة ، استثمار أموال مشتركة . . هذا هو السلم الذى تعنيه اسرائيل ، واعتقادى أنا شخصا أنه اذا توصل العالم العربي الى التعايش مع اسرائيل على هذا النمط ، أظن أن المنطقة ستصبح من أقوى مناطق العالم " (٤١) .

ثانيا : اعتبار أن المهم بالنسبة للعرب والفلسطينيين ليس هو تحرير الارض ، ولكن تحرير الانسان . ففي حديث له مع راديو فرنسا الدولي في نهاية عام ١٩٨٥ ، قال رئيس الدولة المغربي : "ماذا سنجد غدا عندما نستعيد الضفة الغربية؟ سنجد أناسا مقطوعي الجذور لن يصلحوا لا لاسرائيل ولا للعالم العربي . ماذا ستكون خميرة الشرق الاوسط غدا ، بعد عشرة أو خمسة عشر سنة؟ ان ما ينبغي للعرب في نظرى هو أن يعملوا بكل الوسائل ليس لتحرير الارض ولكن لتحرير الانسان اذا ما أرادوا أن يسترجعوه . . والا فبعد خمس سنوات سيصبح هؤلاء الناس أكثر مضره للعالم العربي مما هو عليه الوضع الان" . وقد كان أكثر وضوحا عندما قال في مقابلة أخرى ، متحدثا عن الفلسطينيين بالاراضي المحتلة : "انه حتى ولو أعطيني كل شيء لاحكم هؤلاء الناس ، لايتعدت عنهم كما أبتعد عن الطاعون . انهم سيتحولون الى سرطان يهدد الانسانية أو المنطقة على الاقل" (٤٢) .

وبذلك ندرك أن المرمى الحقيقي للدعوة الى "تحرير الانسان" بهذا المفهوم ليس شيئا آخر سوى تطبيق التسوية القائمة على دمج الفلسطينيين (كاشخاص) ضمن مشروع ما يسمى بالحكم الذاتي أو أية صيغة أخرى من هذا القبيل ، أى "الإدارة الذاتية" للأشخاص وليس للأرض أو الممتلكات الفلسطينية . انه بعبارة أخرى مخطط لايتعارض مع توسيع المستوطنات الصهيونية في الاراضي المحتلة ، وهو ما يشكل باختصار جوهر مشروع ريغان والشق الثاني من كامب ديفيد بعد ادخال بعض التعديلات الشكلية الطفيفة عليه حتى يكون مقبولا من طرف من

تحفظوا على صيغته الاولى . وهذا ما عبر عنه رئيس الدولة بقوله : "ان مخطط فاس يتضمن الاعتراف باسرائيل واذا ما أدمجناه مع مخططريغان - فهما لايتعارضان - فقد تتضاعف حظوظ التوصل الى حل ما" (٤٣) .

ثالثا : اعتبار النخبة الحاكمة في المغرب الكيان الصهيوني كيانا حضاريا ينبغي الاستفادة من "عبقريته الخلاقة" . ولاشك أن هذه النخبة قد تشبعت منذ اتصالاتها الاولى مع الصهاينة ، وحتى قبل ذلك ، بالصورة التي ترسمها اسرائيل لنفسها . وفي هذا الصدد ، يقول الشهيد المهدي بنبركة : "لقد حرصت اسرائيل على أن تكون من نفسها وتعطي لوجهها صورة تناسب وتمهد لتغلغلها في افريقيا . فقد أرادت أن تكون بالنسبة للدول المتخلفة وبالنسبة لدول افريقيا الفتية بالخصوص النموذج المثالي الذى يجب أن يحتذى والنموذج الذى يجب أن يمنح لهذه الدول الخبرة التي هي في حاجة اليها لمواجهة المشاكل التي تجدها أمامها غداة الاستقلال . . نعم ان هذه أسطورة ، ولكنها أسطورة كان لها مفعول" (٤٤) .

ان الوجود الصهيوني في المغرب استفاد ، ليس فقط من نشاط اليهود "المغاربة" وشراكتهم الاقتصادية مع الطبقة الحاكمة ، بل استفاد ويستفيد أساسا من طبيعة هذه الطبقة نفسها ، أى من تحالفها العضوى مع استراتيجية الاستعمار الجديد وادبيولوجيته . ان الصهيونية ، كما كتب الشهيد عمر بنجلون ، "تستفيد الى حد كبير ليس فقط من الافكار التي غرسها الاستعمار ، ولكن أيضا من كل ارتباطات البلاد الثقافية والتقنية واللغوية بقوة المستعمر القديمة ، وهي ارتباطات تسهل انتشار جميع وسائل الاخبار التي عملت الصهيونية على تجديدها أو مراقبتها بدرجة أو بأخرى . ان هذا يبين الى أى حد تستطيع الصهيونية في بلادنا أن تكسب صفة الحيادة بل وتحالف أطر بلادنا الموضوعي . ولهذا ، فالحضور الثقافي والادبيولوجي للاستعمار الجديد يكونان شيئا واحدا ويؤثران مباشرة على تفكير مثقفينا ، وان مواقف هؤلاء ازاء المشكل الفلسطيني لاينفصل عن سلوكهم تجاه المشاكل الداخلية للتحرر الاقتصادي والاجتماعي ولاينفصل بالمثل عن النضال ضد الامبريالية وعملائها" (٤٥) .

المراجع

- (١) سامويل سيكييف : عملية ياخين ، ١٩٨٤ .
- (٢) " دور المخابرات الاسرائيلية في اغتيال بنبركة " ، " البلاغ " اللبنانية - ١١ يناير ١٩٧٦ .
- (٣) ستيوارت ستيفن : أساتذة التجسس في اسرائيل - لندن ١٩٨١ .
- (٤) محمد حسنين هيكل : خريف الغضب ، الطبعة ٧ ، ش.م.ت - بيروت ١٩٨٢ .
- (٥) أفريك آزى ، العدد ٣٢٢ - ٤ يونيو ١٩٨٤ .
- (٦) عبد المالك التميمي : " اليهود والصهيونية في المغرب العربي " ، قسم التاريخ بجامعة الكويت .
- (٧) محمد بنونة : مقالات في المغرب السياسي - ١٩٧٢ .
- (٨) مذكرات ناحوم غولدمان ، نقلا عن الصافي سعيد : " قصة الاتصالات السرية بين المغرب واسرائيل (١٩٧٠/١٩٨١) - الحلقة الاولى ، السفير ٣٠ مارس ١٩٨١ .
- (٩) تامر غولان : " العلاقات السرية بين النظام المغربي واسرائيل " ، " معاريف " - ٢٨ يوليو ١٩٧٨ ، نقلا عن مجلة " الارض " الفلسطينية - ٧ نونبر ١٩٨١ .
- (١٠) رفائيل مرغي : " المغرب واسرائيل واليهود " ، جون أفريك ، العدد ٩٠٤ - ٣ ماي ١٩٧٨ .
- (١١) الصافي سعيد : المرجع السابق .
- (١٢) " مزارع المغرب تستحلي بقر اسرائيل " ، الدستور - ٧ يوليو ١٩٧٧ .
- (١٣) رفائيل مرغي : المرجع السابق .
- (١٤) تامر غولان : المرجع السابق .
- (١٥) الصافي سعيد : المرجع السابق ، الحلقة الثانية ، السفير - ٣١ مارس ١٩٨١ .
- (١٦) تامر غولان : المرجع السابق .
- (١٧) هآرتس - ١٧ يونيو ١٩٧٧ .
- (١٨) رفائيل مرغي : المرجع السابق .
- (١٩) النهار - ٨ يونيو ١٩٧٧ .
- (٢٠) " ماذا يجرى في المغرب وما هو هذا الحوار مع اليهود ؟ " ، " الراى العام " الكويتية - ١٩ يونيو ١٩٧٧ .
- (٢١) مذكرات موشي ديان تحت عنوان : الاختراق ، قصة المفاوضات السرية بين

- مصر واسرائيل ، نقلا عن جريدة " الزحف الاخضر " - ٩ مارس ١٩٨١ .
- (٢٢) تامر غولان : المرجع السابق .
- (٢٣) معاريف - ١٣ ديسمبر ١٩٧٧ .
- (٢٤) الصافي سعيد : المرجع السابق .
- (٢٥) تامر غولان : المرجع السابق .
- (٢٦) عدنان حسين : " العلاقات المغربية الاسرائيلية : ١٥ عاما من الاتصالات على أعلى مستوى " ، الهدف ، العدد ٧٢٣ - ٢١ ماي ١٩٨٤ .
- (٢٧) تامر غولان : المرجع السابق .
- (٢٨) عدنان حسين : المرجع السابق .
- (٢٩) لوموند - ١٦ ماي ١٩٨٤ .
- (٣٠) للمزيد من التفاصيل ، انظر الدراسة حول " المصالح العسكرية الامريكية في المغرب وانعكاساتها في الوطن العربي " ، مجلة " الوطن " ، العدد ١ - مارس ١٩٨٦ .
- (٣١) حسن السبع : " الجسور المفتوحة بين المغرب واسرائيل : العراب من كامب ديفيد الى الخيار الاردني " ، السفير - ٢٣ يوليو ١٩٨٦ .
- (٣٢) من تصريح لوكالة الانباء الفرنسية ، نقلا عن جريدة لوموند - ١٦ ماي ١٩٨٤ .
- (٣٣) جريدة " لوماتان " الفرنسية - ١٢/١٣ ماي ١٩٨٤ .
- (٣٤) د . عبد الوهاب المسيري : الايديولوجية الصهيونية - الكويت ، ١٩٨٢ .
- (٣٥) عز الدين سلامة : " الولاء اليهودي : جسر الى الاهداف الصهيونية " ، الهدف العدد ٧٢٣ - ٢١ ماي ١٩٨٤ .
- (٣٦) عز الدين سلامة : المرجع السابق .
- (٣٧) حسن السبع : المرجع السابق .
- (٣٨) سليم نصار : " دور كيسنجر في التحضير للقاء ايفران " ، المستقبل ، العدد ٤٣٩ - ٢ غشت ١٩٨٦ .
- (٣٩) تايم - ٢٨ يوليو ١٩٨٦ .
- (٤٠) السفير - ٢٨ يوليو ١٩٨٦ .
- (٤١) الوطن العربي - ٧ نونبر ١٩٧٧ .
- (٤٢) من مقابلة مع " مجلة العالمين " الفرنسية - أبريل ١٩٨٦ .
- (٤٣) " مجلة العالمين " : المرجع السابق .
- (٤٤) المهدي بنبركة : اسرائيل في افريقيا .
- (٤٥) عمر بنجلون : سلوك أطرنا تجاه المشكل الفلسطيني .